وهل الإيمان إلا الحب ؟

(٩)

حب الأصدقاء

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

طَرحَ الأُستاذُ (زَينُ العابدِينَ) سُؤالاً رائعاً:

ما الذي جَمَعَ الشَّبابَ فِي هذا المَعْهدِ.. وكيفَ تَمتَّنتْ أواصِرُ الصُّحبةِ والصَّداقةِ بَيْنَهُم؟

الصَّدِيقُ في الشَّرِيعَةِ الإسلاميّةِ

فقالَ الشَّابُّ (مُهتَدِي):

إنَّ الشَّـريعـةَ الإسـلاميَّـةَ تَهتَـمُّ كَثِيـراً بالعلاقَاتِ بينَ النَّاسِ، وتُعتَبَرُ علاقةُ الإنسانِ بأَخِيهِ الإنسانِ ذاتَ تأثيرٍ كبيرٍ في الجَوانِبِ الدَّاخِليَّةِ والخَارجيَّةِ، وذلكَ لأنَّ الصَّداقةَ تَخلقُ جَوّاً مِنَ الأُلفَةِ والمَحبَّةِ، فَتَجْعَلُ الإنسانَ يُحبُّ صَدِيقَهُ كَحُبِّهِ لأخيهِ، كَما قِيلَ: رُبَّ أخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ!

ولذلِكَ فالصَّدِيْقُ ذُو تأثيرٍ خَطيرٍ في مَصيرِ صَدِيقِهِ ، لِذلكَ جاءَ فِي وَصايا لُقمَان الحَكيمِ لابنِهِ:

(يا بُنَيَّ! صاحِبِ العُلماءَ واقْرَبْ مِنْهُمْ ، وجَالِسْهُمْ وزُرْهُمْ في بُيُوتِهِمْ ، فَلعلَّكَ تُشبِهُهُمْ ، فتكونُ معهُمْ ، واجْلِسْ معَ صُلَحائِهم ، فربَّما أصَابَهُمُ اللهُ برَحْمَةٍ فَتَدْخُلُ فِيها فَيُصِيبكَ ، وإنْ كُنتَ صالِحاً فابعدْ عن الأشرَارِ والسُّفهاءِ فرُبَّما أصَابَهُمْ بِعذابٍ فَيُصيبُكَ معهم).

مَعْ تعاليمِ القُرآنِ الكَريم

وعَلَّقَ الشَّيخُ (مُصطفى) على ذلكَ بِقَولِهِ:

ولذلكَ ركَّزَ القُرآنُ الكَريمُ عَلَى الصَّداقَةِ الإيجابيَّةِ ، أي الصَّداقةِ القَائِمَةِ على تَقْوَى اللهِ

بِحيثُ يكونُ العَقْلُ تَقِيّاً فَلا يُفكِّرُ إلاَّ حقّاً ، ويَكُونُ القلبُ نَقِيّاً فَلا يَنبضُ إلاَّ بالخَيرِ لِعبادِ اللهِ.

وحِينمَا يَكونُ الإنسانُ تَقيّاً ، معنَى ذلكَ أنَّهُ لا بدَّ أَنْ يكونَ ناصِحاً لصديقهِ ، وفيّاً له ، مُعيناً نَاصِحاً ، نَاصِراً على الدَّوامِ ، وبالتَّالِي فالصَّداقَةُ القَائِمَةُ على تَقْوَىٰ اللهِ تَبدأُ باللهِ وبرَسُولِهِ ، وتَرتَكِزُ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ نَافعٌ وخَيِّرٌ لِعبادِ اللهِ.

بَلْ إنَّ هَذِهِ الصَّداقةَ لا تَتوقَّفُ عِنْدَ حُدودِ الدُّنيا ، بَلْ تَمتَدُّ وتَسْتَمِرُّ إلى يومِ القِيامَةِ ، مِصداقُ ذلكَ قَولُهُ تعالى:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

والقُرآنُ الكَريمُ يُطِلُّ علينَا بِمشاهِدَ مِنْ يَوْمِ القِيامَةِ ، لِيُؤكِّدَ لنَا أنَّ صداقَةَ التَّقوَىٰ لا تنقَطعُ أبَداً ، فهُنَاكَ في جَنَّةِ اللهِ ونَعِيْمِهِ يَلْتَقِي أَصْدِقَاءُ الإيمانِ ، حَيثُ لا يَحمِلُونَ الحِقدَ ولا الحَسَدَ ، إنَّما يحمِلُونَ الحُبَّ المُنطَلِقَ مِنْ مَركَزِ الحُبِّ كُلِّهِ ، وهُو حُبُّ اللهِ تَعالى ، ذَلِكَ قولُه تعالى:

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦ ـ ٤٧].

ومَا على الإنسانِ إلاّ مُصَاحبَةُ النَّاسِ الصَّالحينَ ، كَمَا جَاءَ فِي تَوْجِيهَاتِ عَليٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: صَاحِبِ الحُكَمَاءَ ، وجَالِسِ الحُلَماءَ ، وأَعرِضْ عَنِ الدُّنيا تَسْكُنْ جَنَّةَ المَأوَى.

وقالَ أَيْضاً: مَنْ دَعاكَ إلى الدَّارِ البَاقِيَةِ ،

وأَعَانَكَ عَلَى العَمَلِ ، فَهُوَ الصَّدِيقُ الشَّفِيْقُ.

وقالَ أَيْضاً: عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْغَبُ فِي التَّكثِيرِ من الأَصحابِ كَيفَ لا يَصحَبُ العُلمَاءَ الأَلِبَّاءَ الأَتْقِيـاءَ : الـذيـنَ يغنَـمُ فَضـائِلَهُـمْ ، وتُهـذِّبُـهُ عُلُومُهمْ ، وتُزَيِّنُهُ صُحْبَتُهُمْ.

صِفَاتُ الأَصدِقَاءِ

وقالَ الأُستاذُ (نُورُ الهُدَى):

ولِكي يَكونُ أصدقاؤُنا مِنَ الذينَ يَحمِلونَ صِفاتٍ حَسنةً، ضَبطَ العُلماءُ أَهمَّ هذهِ الصِّفاتِ ، فَقالُوا:

١ ـ العَقْلُ: وَقدْ وردَتْ في ذلكَ أحاديثُ نَبوِيَّةٌ تَحضُّ على مُصاحَبةِ الصَّديقِ العَاقِلِ ، والابْتِعادِ عَنِ الصّديقِ السَّفيهِ ، منْ ذَلِكَ قَوْلُ

النَّبيِّ ﷺ: «لا تَصحَبْ إلاّ عاقِلاً تَقِيّاً، ولا تُخالِطْ إلاّ عَالِماً ذَكِيّـاً، ولا تُودِعْ سِرَّكَ إلا مُؤمِناً وَفِيّاً».

وقَولُهُ صَلواتُ الله عليهِ: «فَسادُ الأَخلاقِ مُعاشَرَةُ السُّفَهاءِ، وصَلاحُ الأخلاقِ مُعاشَرَةُ العُقَلاءِ».

لِذلِكَ كَانَ العُلماءُ والمُصلِحُونَ يُؤكِّدونَ عَلى هَذهِ المَسْألةِ، مِنْ ذلكَ قَولُهُم: يا بُنيَّ! جَالِسِ العُلمَاءَ وزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتيكَ فإنَ القُلوبَ لَتَحْيَا بالحِكْمَةِ كَمَا تَحْيَا الأَرضُ المَيِّتَةُ بِالمَطَرِ.

٢ ـ الخُلقُ الكَرِيم: وبالتَّالِي فَإذَا كَانَ الصَّديقُ من حَمَلَةِ الأخلاقِ، فإنَّهُ يَنشُرُ الفَضِيْلَةَ، ويَكتُمُ سِرَّكَ بينَ النَّاسِ، وكأنَّهُ فَراشَةٌ تُشيعُ الجَمَالَ والعِطرَ، أمَّا صَديقُ

السُّوءِ فكالذُّبَابَةِ تَترُكُ الطَّيباتِ لتنتَقِلَ إلى القَاذُوراتِ والخَبَائِثِ!!

٣ ـ الزُّهْدُ: وهذَا الخُلُقُ الرَّفِيْعُ لا يكونُ إلاّ فِي الأبرَارِ والأَتقِياءِ الذينَ لا يهتمُّونَ إلاّ بأُمورِ الآخِرَةِ، زَاهِدينَ بِمَا فِي أَيدي النَّاسِ، مصداقُ ذلكَ ما جاءَ عَلى لِسانِ أحَدِ الأولياءِ الصَّالحينَ: احذَرْ أَنْ تُؤاخي مَنْ أَرَادَكَ لِطمعٍ أَوْ خَوفٍ أَوْ أَكْلٍ أَوْ شُربٍ، واطْلُبْ مُؤاخَاةَ الأَتقِياءِ و لَو فِي ظُلُمَاتِ الأَرضِ، وإِنْ أفنيتَ عُمرَكَ فِي طَلَبِهِمْ، فإِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لَمْ يَخْلُقْ عَلَى وَجهِ الأَرْضِ أفضَلَ مِنْهُمْ بَعدَ النَّبيِّينَ، ومَا أَنْعَمَ اللهُ على العَبدِ بِمثلِ ما أنعَمَ بهِ مِنَ التَّوفِيقِ لِصُحبَتِهِم.

٤ ـ الفَضِيْلَةُ: مِصدَاقُ ذلكَ ما جاء في الأَحادِيثِ النَّبويّةِ مِثلُ قولِهِ صَلَواتُ اللهِ عَليه:

«عَاشِرْ أَهلَ الفَضْلِ تَنْبُلْ» ، وقَولُهُ: «أَسعَدُ النَّاسِ مَنْ خالَطَ كِرامَ النَّاسِ».

والذينَ لا نُصاحِبُهُمْ!!

قالَ الشَّيخُ (يَحيى): وأمَّا صِفاتُ الذين لا تَصِحُّ مُصادَقَتُهُمْ ، فَهِيَ:

١ ـ الكَذِبُ: ذلكَ لأَنَّ الكَذَّابَ هُوَ الذي يُقرِّبُ إليكَ البَعِيدَ ، ويُبَعِّدُ عليكَ القَرِيبَ ، ولَيسَ لِكَذُوبٍ صَديقٌ ، وقَدْ جُعِلَتِ الخَبائِثُ في بيتٍ وجُعِلَ مِفْتَاحَهُ الكَذِبُ.

والقُرآنُ الكَريمُ كَعَادتِهِ يُطِلُّ عَلَيْنَا بِمَشاهِدَ من يَوْمِ القِيامَةِ ، مِثالُ ذلكَ ما حَكَاهُ اللهُ تعالى عَلىٰ لِسانِ أُناسٍ دَخَلُوا نَارَ جَهنَّمَ:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

وفِي مَشْهَدٍ قُرآنيٍّ آخرَ ، يَحكِي القُرآنُ حِكَايَتَهُمْ ومَاذا يَجْرِي مَعَهُمْ:

﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٢٧ ـ ٣٠].

٢ ـ الأَحْمَقُ: فَمُصَادَقَتُه تَضُرُّ دائماً ، حتَّى لَوْ أَرادَ أَنْ يَنْفَعَكَ فإنَّهُ يَضُرُّكَ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ ما جَاءَ على لِسانِ القُدَمَاءِ:

أَنَّ رَجُلاً صاحَبَ دُبّاً! وفي أثناءِ الطَّريقِ نَعِسَ الرَّجُلُ ، فَطَلَبَ مِنَ الدُّبِّ أَنْ يحرسَهُ ، ثُمَّ نامَ.

وفجأَةً حَطَّ الذُّبابُ على وَجهِ الرَّجُل ، فمَا

كَانَ مِنَ الذُّبّ إلاَ أَنْ حَمَلَ صَخرَةً كَبيرةً لِكي يَضمنَ قَتْلَ الذُّبابِ جَمِيعاً ، ورَمَاهَا على وَجْهِ صاحِبهِ فَقَتَلَهُ وفَرَ الذُّبَابُ!!

٣ ـ الفَاجِرُ: فَهُوَ كَمَا قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِيَّاكَ وَمُصَاحَبةَ الشِّرِّيرِ ؛ فإِنَّهُ كَالسَّيفِ المَسلُولِ يَحْسُنُ منظَرُهُ ويَقْبحُ أَثَرُهُ.

وقَولُهُ أَيْضَاً: لا تَصْحَبِ الفَاجِرَ ، فَيُعلِّمَكَ من فُجُورِهِ!!

٤ ـ البَخِيْلُ: وحَامِلُ هَذِهِ الصِّفَةِ عَالَةٌ عَلَى النَّاسِ ، لِذلكَ وَرَدَ في وَصَايا السَّابِقينَ: البُخْلُ جَامِعُ المَساوِئ ، والعُيوبِ ، وهُوَ زِمامٌ يُقادُ بِهِ إلى كُلِّ سُوءٍ.

كيفَ تَمتحِنُ صَدِيْقَكَ؟

وقالَ الأُستاذُ (زَينُ العَابِدِينَ): هُنَاكَ بَعضُ

الأُمورِ التِي تَكشِفُ الصَّدِيْقَ مِنَ المُنافِقِ، أَهمُّها:

١ ـ فِـي السَّفَـرِ: حَيـثُ لا تُكَلَّـفُ، فَيصبِـحُ الامتِحَانُ سَهْلاً.

٢ ـ فِي حَالَةِ الغَضَبِ: إذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ صِحَّةَ ما عِنْد أخِيكَ فَأَغْضِبْهُ، فإنْ ثَبَتَ لَكَ عَلَى المَوَدَّةِ فَهُوَ أَخُوكَ، وإلاّ.. فَلا.

٣ ـ الامتِحَـانُ الـرُّوحِـيُّ: أَنْ تَسـأَلَ قَلْبَـكَ بِصرَاحَةٍ، وقَدْ سُئِلَ أَحَدُ الصَّالِحينَ: إنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ لِي أَودُّكَ، فكيفَ أَعلمُ أَنَّهُ يودُّنِي، فَأجَابَ قائِلاً: امتَحِنْ قَلْبَكَ، فَإنْ كُنتَ تَودُّهُ، فَهُوَ يَودُّكَ.

٤ ـ في الشَّدائِدِ: وهُناكَ يَتميَّزُ الصَّديقُ الحَقِيْقِيُّ عَنْ صَدِيقِ المَصلَحَةِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

ولا خَيرَ فِي وِدِّ امرِئٍ مُتَلَوِّنٍ

إذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حيثُ تَمِيلُ

وما أكثرَ الإخوانَ حِينَ تَعُدُّهم

ولكِنَّهُمْ فِي النَّائِباتِ قَلِيلُ!!

٥ ـ عِندَ الحاجَةِ: حَيثُ هُناكَ أَصدقَاءُ تَجِدُهُمْ حينَ العَطاءِ فَقَطْ ، وهُناكَ أصدقاءُ عِنْدَ الأَخْذِ ، لَكنْ هَؤلاءِ يَزولُونَ وَقتَ زوالِ المَالِ.

إذَا قَلَّ مَالي فَلا خِلٌّ يُصاحِبُنِي

وَفِي الزِّيادَةِ كُلُّ النَّاسِ خِلاَّنِي

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ لأَجْلِ المَالِ صَادَقَنِي

وَكَمْ صَدِيْقٍ لأَجْلِ المَالِ عَادَانِي

إذاً فلنختر الأصدقاء بعناية!!

قالَ الشَّابُّ (مُهْتَدِي): لَقَدْ حَفظتُ من مَعهدِ تَحفيظِ القُرآنِ قَوْلَ رسولِ الله ﷺ:

«الرَّجُلُ عَلَى دِيْنِ خَلِيْلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

وقَولَهُ: «مَثَلُ الجَلِيس الصَّالحِ والجَليسِ السَّيئ كحَامِلِ المِسْكِ ونَافِخِ الكِيرِ ، فحامِلُ المِسْكِ إمَّا أَنْ يَحذِيكَ ـ يُعطِيكَ ـ وإمَّا أَنْ تَبتَاعَ مِنْهُ وإمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحَاً طَيِّبةً. ونَافِخُ الكِيرِ إمَّا أَنْ يَحرِقَ ثِيابَكَ ، وإمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيْحاً خَبيْثَةً».

وقَوْلَهُ: «يَقُولُ اللهُ تَعالى: المُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يغبطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ» وقَولَهُ: «لا تُصاحِبْ إلاّ مُؤمِناً ولا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ».

ورَفَعَ الشَّيخُ (يَحيىٰ) يَدَيهِ ودَعَا اللهَ قَائِلاً: اللَّهُمَّ دُلَّنَا على أَصدِقَاءِ الخَيرِ ، واجْعَلْنَا مَفَاتِيحَ

لِلخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَهْلَ السُّوءِ كُلِّهِمْ يا أَكْرَمَ الأَكْرَمِين.

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ